| | |
|---|---|
| جمهورية مصر العربية<br>وزارة الأوقاف | ٦ من صفر ١٤٣٩هـ<br>٢٧ من أكتوبر ٢٠١٧م |

(١)

# مخاطر التطرف الفكري و الانفلات الأخلاقي

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين ، **وبعــــد** :

فمما لا شك فيه أن وجوه العظمة في ديننا متعددة، وأن من أبرز مظاهر عظمته أنه دين الاعتدال والوسطية ،قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}، ووسطية الإسلام تعني: انتهاج منهج معتدل متوازن يشمل العقيدة والعبادة ، والمعاملات والأخلاق ، وليس هناك شك في أن الشريعة الإسلامية راعت مصلحة الإنسان وطبيعته البشرية دون إفراط أو تفريط ، واشتملت مبادؤها على الوسطية والسماحة واليسر ، قال تعالى: {يرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً}، وقال سبحانه:{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}؛ وكان من هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) القصد والاعتدال واليسر والسماحة، فقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) ، وتقول أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) : " مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) بِهَا".

بهذه النظرة الإنسانية وما فيها من محبة وتسامح ساد الإسلامُ شرقًا وغربًا ، وارتفعت رايتُه بسماحته ويسره ؛ لأنه جاء بما يتوافق مع فطرة الإنسانِ السوية ، بل إن نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ليقول : (دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ، قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا) .

**وإن قضية التطرف الفكري التي ابتليت بها الأمة دخيلة على الإسلام ، وإن لم تكن وليدة اليوم** ، بل هي قديمة ، لها أسبابها وبواعثها ، ومن أهم أسبابها: الجهل بتعاليم الإسلام ، واتباع أناس جُهَّالٍ ضلُّوا وأضلوا بغير علم ، ما بين متطرف في فهم النصوص الدينية ، وما بين متحلل منها ، وما بين صاحب مصلحة يتاجر بدين الله في سبيل تحقيقها ، فبزغ التطرف الفكري مبكرًا في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَهْوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ، وَهْوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ فَقَالَ: ( وَيْلَكَ ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ) فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ: ( دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...).

ومن أجل المحافظة على هذه الوسطية ، وذلك الاعتدال حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من كل مظاهر الغلو وخاصة الغلو في التدين، فأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف مبالغةً تخرجه عن حدّ الاعتدال ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)، وحينما دَخَلَ النبي (صلى الله عليه وسلم) الْمَسْجِدَ فَرَأَى حَبْلًا مَمْدُودًا بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: (مَا هَذَا الْحَبْلُ؟) ، قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ، فَقَالَ: (حُلُّوهُ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ

نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ)، فالإسلام يرفض الغلو والتطرف والتشدد في الدين؛ لأنه يتناقض مع ما يتميز به من اعتدال وقَصْد.

**فالتطرف شجرة خبيثة** لا تثمر إلا التنازع و التدابر والشقاق و العداوة والبغضاء ، حتى يصل الأمر في نهايته إلى سفك دماء الأبرياء واستباحة أموالهم وأعراضهم، وإشاعة الرعب والخوف، واستهداف الأمن والأمان والاطمئنان، وكلها أعمال الإسلام بريء منها ، فديننا الحنيف حذّر من تفزيع الناس ، ونهى عن ترويع الآمنين وتخويفهم ولو على سبيل المزاح ، وحرّم التعدي عليهم؛ لأنه إجرام تأْباه الشرائع السماوية والفطر السوية، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ)، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا).

ولا يقتصر التطرف الفكري على جوانب التشديد وحدها ، بل إنه ليشمل أيضا كل ألوان التفريط والتسيب والانحلال ، وبخاصة تلك الأفكار الهدامة التي تتجاوز ثوابت ديننا، وتتصادم مع المصلحة الوطنية، وذلك لما تحدثه من فوضى وصراع مجتمعي.

وعلاج هذه الظاهرة يتمثل في توعية المجتمع المسلم بكافة أطيافه بخطر التطرف الفكري وضرره في الحاضر والمستقبل ، سواء أكان ذلك إفراطًا أم تفريطًا ، غلوً أم تقصيرًا، وذلك لا يكون إلا بأخذ العلم من منابعه الصافية ، وعلمائه المتخصصين ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ

الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا).

ونؤكد أن من أعان أصحاب الفكر المتطرف بنشره أو الرضا به ، أو التشجيع عليه أو تستر عليهم فهو شريك لهم في الإثم أمام الله (عز وجل) وأمام المجتمع كله، وقد نهى الله (تعالى) عن ذلك بقوله:{وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ}، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّة ، حتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيهِم، وهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوه ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك عذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ).

فحري بكل مسلم صادق محب لدينه ووطنه أن يتخذ من التوسط منهجًا يطبقه في كل أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته وأحواله ، مقتديًا في ذلك برسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) متجنبًا كل مظاهر التطرف الفكري والتشدد والغلو التي نهى عنها ديننا الحنيف ، والعمل على نشر سماحة الإسلام، وترسيخ أسس المواطنة الكاملة والعيش الإنساني المشترك ، وتحقيق الحياة الكريمة الآمنة لكل الناس، بعيدًا عن كل ألوان التكفير والتفجير والتخريب.

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**إخوة الإسلام**:

**وكما أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال فهو أيضًا دين الأخلاق الفاضلة**، فالأخلاق ركيزة من ركائز الإسلام ، لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا تتبدَّل بتبدل المصالحِ

والأهواء، لثبوتها في القلبِ، ورسوخها في النفسِ، وهي إحدى ثمرات العبادة، فما من عبادة شرعها الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج إلا ولها أثر يظهر على سلوك الفرد في السمو الأخلاقي، بل يتعدى هذا الأثر من الفرد إلى المجتمع؛ ليتأكد بذلك أن الإسلام ليس طقوسًا جوفاء تؤدى في المسجد ولا علاقة لها بالواقع، فيخرج المصلي بعدها ليغش ويحتكر، ويؤذي جاره، ولقد شُرعت العبادات في جميع الأديان لترتقي بالإنسان، وتسمو بأخلاقه، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزانًا شرعيًا يهذّب الإنسان، ويرقى به إلى مدارج الكمال ، وفي ذلك يقول ربنا: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } .

وتأتي السنة النبوية المطهرة لتؤكد على أهمية الأخلاق في حياة الإنسان، مبينة الأجرَ العظيم لمن تخلق بالأخلاق الفاضلة، ومن ذلك قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ)، ولما سُئِلَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ أَكْثَرِ مَا يدخل الناس الجنة، قَالَ: (تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ)، ثم جعل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مكارم الأخلاق من أسباب محبته والقرب منه يوم القيامة، فقال: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا)، بل إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أولاها عناية فائقة، حيث بيَّن (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن الغاية الأولى من بعثته ورسالته إنما هي إتمام مكارم الأخلاق، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)، فمع أهمية أركان الإسلام جميعًا، لم يقل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): بعثت لأعلم الناس الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج، إنما جعل الأخلاق الهدف والغاية الأسمى لرسالته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مثلاً أعلى في حسن الخلق؛ لذا امتدح ربنا هذا الجانب في النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال:

{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، وهذا ما أكدته أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ (رضي الله عنها) حين سئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) ، فما شاع بين الناس بأن الأمم الأخلاق ، ليس مجرد شعار ، إنما هو واقع عملي يتجسد على الأرض ، فالأمم التي لا تبنى على القيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وأسس قيامها ، ولله در القائل:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ *** فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

فبالأخلاق تحيا الأمم وتبقى آثارها خالدة، وبزوالها وانهيارها تنهار الأمم وتسقط، فكم من حضارات انهارت، لا بسبب اقتصادها، أو قوتها العسكرية – فحسب، وإنما بتردي أخلاقها، وهي كذلك صمام أمان المجتمعات تعصمها من الانحلال، وتصونها من الفوضى والضياع، فسلامة الأمة وقوة بنيانها مرتبط، بتمسكها بالأخلاق الفاضلة، كما أن شيوع الانحلال والرذيلة يأتي نتيجة لنبذ الأخلاق والأفعال الحميدة.

**ولا ريب أن من أخطر ما يهدد أمن المجتمع وسلامته هو الانفلات القيمي والأخلاقي** الذي يعني التخلي والتجرد من كل قول أو فعل كريم ، أو التهاون في ثوابت الدين وعادات وتقاليد المجتمع الأصيلة التي تدعو إلى الأدب والرقي والتحضر، حتى لا يصل المجتمع إلى فساد وإفساد يهدم ثوابت المجتمع، كما أن الانفلات القيمي والأخلاقي يعتبر مؤشرًا على وجود خلل في المجتمع، ينبغي تداركه والتصدي له قبل فوات الأوان، فسقوط الأخلاق انهيار للمجتمع كله.

لذا يتوجب على الجميع أن يقوم بواجبه نحو مواجهة الانفلات القيمي والأخلاقي بدءًا بالأسرة ، وانتهاءً بالمجتمع ومؤسساته ، فلكل منا دوره المنوط به لابد من

القيام به على أكمل وجه، قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ}.

إن مخاطر الانحراف السلوكي والانفلات القيمي والأخلاقي والدخول في مرحلة المجاهرة بالفسق والفجور جريمة نكراء لا تقل جرمًا عن مخاطر العنف والتطرف الفكري والإرهاب، فكلا الأمرين: مدمر للشعوب والمجتمعات ومهلك للأمم.

لذا اتفقت الشرائع السماوية على أصول الأخلاق وثوابت القيم التي ذكرها القرآن الكريم في قول الله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }، فالأديان كلها قائمة على مكارم الأخلاق من الصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والنظافة، والنظام واحترام آدمية الإنسان ، لا يشذ عنها إلى أضدادها ونقائضها من الكذب والخيانة والغدر وسوء الخلق ، إلا شخص بعيد كل البعد عن معاني الأديان والإنسانية السوية.

**اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا شرها لا يصرف عنا شرها إلا أنت واحفظ بلادنا من كل مكروه وسوء**